خطبة

عرفة ١٤٣٨

لمعالي الشيخ سعد الشثري

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشَّيخُ لم يراجع التَّفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله الرحيم الرحمن، امتنَّ علىٰ من شاء من عباده بالصّحة في الأبدان، والأمن في الأوطان، نحمده سبحانه علىٰ نعمه الكثيرة، وهو الكريم المنَّان.

وأشهد أن لا إله إلا الله لا يحب كل أثيم خوّان، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صاحب الحجّة والبيان، والمنزّه عن الخيانة والبهتان، صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه ممّن اقتفىٰ أثره في خصال الإيمان.

أما بعد؛ فيأيها المؤمنون؛ اتقوا الله بالتزام شرائعه، وترك نواهيه؛ تفوزوا بمحبة الله ومعيّته؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾[التوبة]، وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣٦﴾[التوبة].

اتقوا الله، اتقوا الله تفلحوا دنيًا وآخرة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦﴾[الحجر]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق]، وإنَّ من تقوىٰ الله التزام أعظم ما أمر الله به وهو التوحيد بإفراد الله بالعبادة؛ فلا يصلّىٰ إلا لله، ولا يُدعىٰ إلا الله؛ قال تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾[الكوثر]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾[الجن].

والتوحيد هو دين رسل الله جميعًا، فهو دين نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وخاتمهم نبيّنا محمد ﷺ، صلوات الله عليهم جميعا؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٦﴾[النحل]، وقال الله جل وعلا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾[الأنبياء].

والتوحيد هو معنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، فلا يُعبد أحد بحقّ إلّا الله؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾[الأنعام].

وأما الشهادة الأخرىٰ التي يحصل بها مع شهادة التّوحيد الفوز والنَّجاة، ويحصل بها الفوز الكبير فهي شهادة أنَّ محمدا رسول الله، أرسله لهداية الخلق، وأوحىٰ إليه بحيث يصدَّق في خبره، ويطاع في أمره، ولا يعبد الله إلا بما جاء به؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥﴾[النجم].

أيها النَّاس إنَّ سبيل النجاة وطريق الجنة هو الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمًا ۝١٧٥﴾[النساء]، وقال رسول الله ﷺ في بيان أركان الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»، وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[البقرة:١٧٧] الآية، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١٣٦﴾[النساء]؛ كما أنَّه ﷺ ذكر أركان الإسلام فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا».

عباد الله، الصَّلاة عماد الدين، صلة بين العبد وربه؛ كما في الحديث: «إذا كان أحدكم في صلاته فإنَّما يناجي ربه»، قال تعالىٰ: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾[البقرة:٤٥]، وقال سبحانه: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨﴾[البقرة]، وقال عز وجل: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤﴾[هود].

والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله، وتكون بإخراج جزء معلوم من المال، وفي ذلك طُهرة للنفوس، ونماءٌ للمال، وتفقد لحاجة المحتاجين؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾[القيمة].

والركن الرابع من أركان الإسلام: صيام شهر رمضان؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾[البقرة:١٨٥].

والركن الخامس: حج بيت الله الحرام؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ لِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾[آل عمران:٩٧]، وقال رسول الله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

حجَّ رسول الله ﷺ في السنة العاشرة، ونزل عليه في يوم عرفة قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة:٣]، وما ذاك إلا أنه كمُل دين الله وتمّت شريعته المشتملة علىٰ الفضائل العالية والمحاسن الشريفة:

فمن محاسن هذا الدين أنه حظّ علىٰ الاجتماع والتآلف والتعاون علىٰ الخير؛ قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[المائدة:٢]، وقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[آل عمران:١٠٣].

ومن محاسن هذا الدِّين حثُّه المؤمنين علىٰ الأخلاق الفاضلة والأقوال الطيبة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[الإسراء:٥٣]، وقال لنبيِّه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم]، وقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[آل عمران:١٥٩]، وأمر المؤمنين بالاقتداء به ﷺ.

وقد جعل ﷺ ممَّا يفرِّقُ المؤمن عن المنافق الصِّدق في الحديث والوفاء بالعهد والأمانة.

ومن محاسن الشريعة أنها خيرٌ ورحمة للخلق أجمعين؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء].

ومن محاسن الشَّريعة أمرها بالعدل والإحسان وإعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[النحل:٩٠].

ومن محاسن الشريعة تنظيمُها للحياة علىٰ أكمل الوجوه وأتمها؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:٩].

ومن ذلك تنظيمه لأحوال الأسرة بما يؤدِّي إلىٰ سعادة الزوجين ببعضهما، وبما يؤدي إلىٰ صلاح الذّرّية ليكونوا لَبِنَاتٍ صالحة في مجتمعاتهم؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الروم].

وأمر الشرع ببر الوالدين، وحسن تربية الأبناء، وصلة الرحم ليتماسك المجتمع ويتآلف، كما نهىٰ عن الفواحش والموبقات؛ قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف].

ومن محاسن الشريعة تنظيمها للمعاملات المالية لتُقضىٰ حوائج الناس ولتنمو التجارة ويزدهر الاقتصاد المبني علىٰ ثقة الناس بعضهم ببعض، ومن هنا حرَّم الغش وأكل أموال الآخرين بالباطل، وأكل الربا، والجهالات في البيوع والقمار والميسر، وأمر بالعدل والإنصاف وتوثيق الحقوق.

أيها المؤمنون؛ لقد كان من خطبة المصطفىٰ ﷺ بالحج أن قال: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام**» ثم قال: «**ألا فلا ترجعوا بعدي ضُلَّالا يضرب بعضُهم رقاب بعض**»، فكان في دين الإسلام تأصيلُ مبادئ الأمن والاستقرار في المجتمع الذي تزدهر به الحياة، وتنمو به التِّجارات، وتطمئنُّ به القلوب، ويتمكَّن الناسُ فيه من عبادة علَّام الغيوب، ولذا امتنّ الله علىٰ عباده بنعمة الأمن؛ فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾[الأنعام]، وجعل الأمن منحةً لمن قام بشرعه؛ فقال سبحانه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ﴾ [النور:٥٥]، إنَّ المسلم مساهم في الأمن في كل مكان، فهو لا يعتدي؛ إذ كيف يعتدي وهو يسمع قول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾[البقرة]؟!، وكيف يتجرأ علىٰ مال غيره أو يسفك الدم وهو يسمع الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾[النساء]؟!!.

طريقة المسلم عدم تجاوز ما أمر اللهُ به من الوفاء بالعهود والمواثيق؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾[المائدة:١]، والمسلم ملتزمٌ لما أمر الله به من طاعة ولاة الأمور مما يحفظ النظام العام، وينتج عنه استقرار البلدان وأمنها؛ قال تعالىٰ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[النساء:٥٩]؛ بل المسلم يمقُتُ الاعتداء علىٰ الآمنين من المسلمين وغيرهم في كافة البلدان، ويُدين الاعتداءات والجماعات الإرهابية.

إنَّ الشريعة قد جاءت بما يحفظ الأمن والاستقرار، في كل المجالات فحفظت الأمن العقدي والأمن الفكري والأمن السياسي والأمن الأخلاقي، جاءت بحفظ الأمن في الدول والأوطان؛ بل جاءت الشريعة بزراعة محبة الخير في القلوب فيتمنىٰ المرء لأخيه ما يتمناه لنفسه؛ فالتحاسد مذموم، فالتحاسد

مذموم والكراهية ممقوتة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾[النساء].

ولئن كان الشَّرع يأمر بنشر الأمن والسلام والاستقرار في جميع بقاع العالم فإنَّ الشرع يؤكد ذلك في هذه البلاد المباركة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾[آل عمران]، وقال سبحانه: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿٤﴾﴾[قريش]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ﴾[العنكبوت:٦٧]، وتوعد الله من همّ مجرّد هم بالإحداث في الحرمين؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾[الحج].

وكما أمّن الله الحرمين الشريفين بهذه الولاية الإسلامية نسأله سبحانه أن يعيد المسجد الأقصىٰ أولىٰ القبلتين ومسرىٰ رسول الله ﷺ، وأن يحفظ أهلنا في فلسطين، وأن يمنّ عليهم بالأمن الوارف والعيش الرغيد واسترجاع حقوقهم.

أيها المؤمنون؛ لقد كان من خُطبة نبينا الكريم ﷺ في هذا الموطن الشريف أن قال: «**ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمَيَّ موضوع**» كان في الجاهلية العصبية المقيتة والتمييز بين الناس، ورفع الشعارات، والتفاخر بالآباء والأجداد؛ فنهوا عن ذلك كله؛ قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ﴾[البقرة:٢٠٠].

فمن أمر الجاهلية أن يُجعل موسم الحج موطنًا للمزايدات، أو مكانا للشعارات أو المظاهرات أو الدعوة للأحزاب والتجمعات؛ بل يجب أن يُجعل الحجّ لله وحده، قال تعالىٰ: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾[البقرة:١٩٦]، فلا مكان للشعارات الحزبية، ولا للدعوات المذهبية، ولا للحركات الطائفية التي نتج عنها المذابح العظيمة وتشريد الملايين.

لقد كان من خطبة النبي ﷺ في عرفة: «**لقد تركتُ فيكم ما لم تضلوا به إن اعتصموا به كتاب الله، كتاب الله**».

أيها الأمة قاطبة؛ تمسّكوا بكتاب ربكم تهتدوا وتفلحوا؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦۖ﴾[الزمر:٤١]، وقال سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[الإسراء:٨٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾[النساء].

يا قادة الأمَّة؛ هذا كتاب الله بين أيديكم، سيروا علىٰ هديه، وحكِّموه وانشروه في الأمة، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾[المائدة:٤٨].

يا علماء الأمة؛ كتابُ الله هو مصدر كامل للهداية، استنبطوا منه حلول مشاكل الأمة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾[النساء:٨٣]، تقرَّبوا إلىٰ الله بنشر أحكامه وأخلاقه.

أيها الآباء والأمهات، أيها المربون؛ ما أشد حاجة أبنائنا إلىٰ أن يتعلموا القرآن ففيه الهداية التامة والأخلاق الفاضلة، وخيركم من تعلم القرآن وعلمه.

أيها الإعلاميون؛ عليكم واجب بنشر ما دعا إليه القرآن العظيم من الخير والفضائل.

ويا أصحاب المال تقربوا إلىٰ الله ببذل شيء مما آتاكم الله من المال في نشر كتاب الله وترغيب الخلق في تعلُّمه وتعليمه والعمل به والدعوة إليه؛ قال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة].

أيها الحجاج؛ بعد أن خطب رسول الله ﷺ في عرفة أمر بلالا فأذَّن ثم أقام، فصلىٰ الظهر مقصورة ركعتين، ثم أقام فصلىٰ العصر مقصورة ركعتين، ثم وقف في عرفة علىٰ ناقته يذكر الله ويدعوه حتىٰ غرب قرص الشمس.

ثم ذهب إلىٰ مزدلفة، وكان يوصي أصحابه بالرفق، ويقول: «يا أيها الناس عليكم بالسكينة والوقار فإن البر ليس بالإيضاع» أي: الإسراع.

فلما وصل مزدلفة صلىٰ المغرب ثلاثا والعشاء ركعتين، جمعا وقصرا، وبات بمزدلفة وصلىٰ الفجر بها في أول وقتها، ثم دعا الله إلىٰ أن أسفرت.

ثم ذهب إلىٰ منىٰ فرمىٰ جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بسبع حصيات، وذبح هديه وحلق، ثم طاف طواف الإفاضة.

وبقي في منىٰ أيام التشريق، يذكر الله ويرمي الجمرات الثلاث بعد الزوال يدعو عند الصغرىٰ والوسطىٰ، ورخص لأهل الأعذار في ترك المبيت بمنىٰ، وسنة رسول الله ﷺ المُكث بمنىٰ لليوم الثالث عشر وهو الأفضل، وأجاز التعجّل في الثاني عشر.

فلما فرغ من حجه وأراد السفر إلىٰ المدينة طاف بالبيت.

حجاج بيت الله الحرام؛ إنّكم في موطنٍ شريف يقول فيه رسول الله ﷺ: «**ما من يوم أكثر من يعتق فيه عبيدا من النار من يوم عرفة، وإنه يدنوا ثم يباهي بهم الملائكة**» لهذا أفطر ﷺ يوم عرفة في حجه ليتفرغ للذكر والدعاء، فأروا الله من أنفسكم، وأكثروا من دعائه لكم ولمن تحبون ولمن لهم عليكم حق، وللمسلمين عامة، بأن يصلح الله أحوالهم وأن يتولىٰ الله شؤونه ولا تنسوا الدعاء لمن أحسن إليكم، كما في الحديث «**من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له**»، وإن ممَّن أحسن للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بخدمة الحرمين والقيام علىٰ ضيوف الرحمن: حكام هذه البلاد المباركة المملكة العربية السعودية فتقربوا بالدعاء لهم:

اللّٰهُمَّ يا حيّ يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام نسألك أن توفِّق خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز، اللّٰهُمَّ كن معه مؤيدا وناصرا، ومعينًا علىٰ كل خير، اللّٰهُمَّ جازه خير الجزاء، علىٰ ما يقدّمه من الخير والإحسان، اللهم بارك في وليه عهده الأمير محمد بن سلمان، اللّٰهُمَّ شد عضده به واجعله سبب خير للأمة كلها.

اللّٰهُمَّ تقبّل من الحجيج حجهم، اللّٰهُمَّ تقبّل من الحجيج حجهم، ويسّر لهم أمورهم، واكفهم شر من أراد بهم سوءا، اللّٰهُمَّ أعدهم لبلدانهم سالمين غانمين، قد غفرت ذنوبهم، وقضيت حوائجهم، اللّٰهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، وألِّف ذات بينهم، وأصلح قلوبهم، وتولىٰ شأنهم، وآمنهم في أوطانهم وارزقهم الاستعداد ليوم المَعاد.

سبحانك رب العزة عما يصفون ، وسلام علىٰ المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

۞۞۞۞